

الشابي والرومانسية في العصر الحديث :

بدأت بذور الرومانسية - داخل الوطن العربي - عند

مطران وقصيدته المساء التي يقول فيها :

دَاءُ أَلَمْ فَخَلْتُ فِيهِ شِفَائِي

من صبوتي فتضاعفت بُرحائي

يَا لِلضَّعِيفِينَ اسْتَبْدَا بِي وَمَا

فِي الظُّلَمِ مِثْلُ تَحَكُّمِ الضُّعَفَاءِ

قَلْبٌ أَصَابَتْهُ وَاجْأوى

وَعِلَالَةٌ رَثَّتْ مِنَ الْأَدْوَاءِ

بيد أنَّ الريادة الحقيقية للرومانسية داخل الوطن العربي تمثلها

مدرسة الديوان بريادة عبد الرحمن شكري وإبراهيم المازني وعباس

محمود العقاد .

وقادت الرابطة القلمية في المهجر بزعامة جبران وميخائيل
نعيمة حركة تجديدية في الشعر العربي حيث تفجر ينبوع
الرومانسية الغزير في أدب جبران فكانت اللفظة في أدبه وكأنها
نغمٌ روحي ولم يدع حالة من الأحوال النفسية ولا شعوراً ولا
تجربة إلا وتغنى بها وكساها بالخيال والانفعال العاطفي .

وكانت رومانسية جبران أكبر تجربة في الأدب العربي
المعاصر لأنها حررت اللفظة من قبضة الذهن وقد مكّن للخيال في
الأطر الحسية ولم يقف عند أي حائل ، فكان ابن الحرية الإبداعية
التي أوجت إلى الأدب العربي روحاً جديدة لن يقع على مثل لها
عبر عصور طويلة .

وفيما كان جبران يفجر ينبوع الرومانسية في المهجر كانت
البلاد العربية تحتضن تجارب متعددة غلبت عليها النزعة السياسية
والاجتماعية ، إلا أن جماعة في مصر أنشأوا جمعية أبوللو ومن بينهم
الدكتور زكي أبوشادي وانظم إليهم الشابي من تونس ، ولم يكن

الدكتور أبوشادي من الموهبة والثقافة ما يقدر له أن ينهض بعبء هذا المذهب الروحاني ، ولم يكن لصحبه العبقريّة المتفجرة غالباً .

إلا أنّ الدكتور إبراهيم ناجي حاول في مرحلة النضج الفني لديه أن يسمو بتلك التجربة ودّرّت له بعض القصائد العليا نسبياً وفي ظلال الرومانسية التقى أبو القاسم بأدب جبران وما فيه من خصائص ومميزات فوجد فيه رفيقاً قوياً لعقله وفكره .

وتجاوبت الآراء والأفكار الرومانسية مع الخصائص الذاتية لأبي القاسم ، ووجد فيها ملاذاً وملجأً ، كما وجد فيها متنفساً لعواطفه الجياشة ، وحساسيته المفرطة ، فالكون كله عواطف وشعور كما يقول :

عِشْ بِالشُّعُورِ وَلِلشُّعُورِ فَإِنَّهَا

دُنْيَاكَ كَوْنُ عَوَاطِفٍ وَشُعُورِ

شِيدَتْ عَلَى الْعُطْفِ الْعَمِيقِ وَإِنَّهَا

لَتَجِفُّ لَوْ شِيدَتْ عَلَى التَّفَكِيرِ

فالشابي تميز عن هؤلاء كلهم بل تميز على شعراء حقبتة
جميعهم ، وسطع نجمه وتألقت شمسه ويخيلُ إلينا أنَّه أصفى
الشعراء الرومانسيين العرب .